

## ناصر قنديل

قالت له، واحدة عن التضحية واللياقة والفوز بالحبّ، والثانية بمساهمة من القارئة رانيا الصوص للمرّة الثانية، بمثابة على المبنى والمعنى، ونصّ جديد. رياضيات الكلام عن الحكم والحكمة والأّم والأمة واليمين. وذكر إن تنفع الذكرى في ذكرى الحركة التصحيحية في سورية، التي تحلّ الأحد. أمّا الصباحات، فلكل يوم صباح: للشرفة والماء والليل والنهار، وحكاية قرصنة قناة «توب نيوز» على أيدي استخبارات محترفة، وعودة القناة سريعاً إلى أهلها وناسها مع وعدٍ بالمثابرة والنجاح.

رانيا الصوص

### قالت له

### بين اللياقة والتضحية

قالت له: من يفز بالحبّ أكثر، من بلغ العشق به حدّ التعلّق ببقاء الحبيب، أو من بلغته به التضحية حدّ مراعاة ظروف الحبيب؟
فقال: وما المناسبة؟
قالت: لماذا كلما قلت لك أنّي راحلة، وتُعنتي بكلّ لياقة الوداع، لكن من دون أن تتمنّى عليّ مرّة إطلالة البقاء؟ ولماذا كلما وتُعنتي تميّنُ عليك دقيقة أخرى؟
فقال لها: وتحرجيني فابقي، وأنت تعلمين أنّ الطرف يكون قاهراً.

قالت: لم أكن لأزعج لو أصررتُ على الرحيل لأنّي لو فعلت الأمر نفسه لرحلت وما بقيت حرجاً.

فقال: الرجل يحب المرأة أكثر عندما تُشعره بتفهمّ ظروفه.

فقلت: والمرأة تحبّ الرجل أكثر عندما يُشعرها بأنه يتفهمّ ظروفها، لكنّ الحبّ يخذل التفهمّ فيتمنى عليها البقاء، فتفعل معه ذلك.

قال لها: تعالي نبتادل الأدوار مرّة أخرى، فلكون ملحاحاً وتكونين اللائقة.

مضيا حتى يحين موعد آخر.

### مساهمات القراء

قالت له: أتألم كلما ناديتني باسمي. وكأنما تردّد على مسامعك لتزِيل الشكّ الذي يملأ قلبك، فأشعر بظلم وضيق يأتينني جارفٌين من نظرة عينيك. مشكلكي معك أنك الآن في داخلي ذلك الماضي الذي يمتعني من الوصول إلى المستقبل. إن ما يبرضنا في الحقيقة، نزوتنا التي بابي علّنا المنطقي أنّ يمنعه. وأنت الفكرة التي أدفع مُنْها دماً، وأشعر بأنّي لن أتراجع عنها. أنا أقف أمامك منهاراً متوشّلة العودة إلى ماضينا وبيننا وحياتنا السابقة، وتكتفي أنت بعبارة: «لديّ شك بأنّي أحبك» بعد ثماني سنوات، كيف استطعت حتى نطقها؟ قال لها: أنا صادق معك، لم أعد قادراً على المزيد من اللاعيب النفسية. لم أعد أتحمّل هذا الشك. لنفترق كراشدين أدركا أن طريقهما لم تعد واحدة.

رانيا الصوص

### رياضيات في الكلام

فقال: لا لضمانة، لكن الأمانة تقضي أخير في رجل لأّمته لا يفعل المستحيل ليحفظ أمّه.

● الحرب والتفاوض، وسيلتان لتحقيق الغايات. والأهم المناضجة نقاس بقدرتها على سرعة الانعطاف بين الحالتين. والمقاييس في التحكم، درجة الصدق أو الخداع لدى الرأي العام.

● ما لجأ إلى قسمّ اليمين دون أن يُطلب منه ذلك، إلا الكاذب أو بخيل أو جبان. فالجيدان قد يكون صادقا،

لكنه يخشى تكذيبه فيستعين. على جيّنه لا على كذبه. يختار، فقال أمّي. استغفروا ردهُ فقال: لقد فعل غيبي عكس ذلك، ففعلوا أمّه. أما الأمة فمن يقدر على قتلها؟

سألوه: ومن يضمن ألا يفعلوا به ذلك لو قال ملك؟



### ذكر إن تنفع الذكرى

قبل سنة، كتبت في ذكرى الحركة التصحيحية في سورية التي قادها الرئيس الراحل حافظ الأسد، ويتابع من بعده الرئيس بشار الأسد خيراتها المبدئية، وهو كلام يختصر ما يمكن أن أكتبه اليوم.

### في ذكرى الحركة التصحيحية

تعيش سورية ذكرى مؤسس نهضتها الحديثة، وباني مجدها في التشرييين، وكيف انتقلت مع حافظ الأسد من خريف الاهتزاز إلى ببيع الاستقرار، ومن عواصف التهديد إلى قوة المناعة المنيعه والمناعته، ومن الدولة الفقيرة إلى الدولة النامية المتكفئة في الغذاء والدواء، والمتنمعة بمجانبة الطبابة والتعليم، والتي تعتمها الكهرباء والطرقا، وتنهض فيها الصناعة وترزدهر فيها الزراعة، وتتباهى بما تقدّم في مجالات العلوم.

مع إنجازات الحركة التصحيحية صارت سورية لاعبة بعدما كانت ملعباً، وصارت سورية سياسة واستراتيجيات بعدما كانت في موقع الانفعال لا الفعل. وفي عقدها الثالث، رحل مؤسس الحركة التصحيحية بعدما شاخ قادة حزبها وِدولتها، وصارت سورية في حركة تصحيحية جديدة توأكب المتغيرات وتستثمر على الإنجازات. وكان الرئيس بشار الأسد رائد هذه الحركة الذي تصدى لمهمة معقدة بين شريكين في الحزب والدولة والمجتمع، شريك يريد مواكبة المتغيرات بالتخلص من المتجزات، وشريك يريد حماية المتجزات بإتكار المتغيرات. وتعدّدت المعركة بحروب متتالية دفعت مهمة حماية قرار الاستقلال الوطني إلى الواجهة مع العام 2000، بوصول المحافظين الجدد إلى البيت الأبيض، وبدء حروب الإخضاع والاستياع لحساب [إسرائيل]. بقوة التفرد الأميركي سياسيا واقتصاديا وعسكريا على الساحة الدولية، وسورية

## البناء

## حديث الجمعة



### صباحات

### أعيادٌ وليلٌ وماءٌ وقلْبٌ بلا يوم عطلة... و«توب نيوز» و«فيروز

### صباح حلب

بعد ليل طويل، الصباح يقرب من حلب... نضجت الثمار وحان وقت القطف، والفرص محدودة لإلقاء السلاح والالتحاق، والوقت يضيق. فالصباح يسير مسرعاً بعد تباطؤ، الطريق ليست وعرة، فقد قارب الليل على الانتهاء، والصباح ينتظر استقبالا يليق بالانتظارات التي يعيشتها العساك، فأحلام كثيرة تأجلت صار موعدها ممكن التحقق، ومفاجآت كثيرة موعودة صارت جاهزة، ونبض الصباح يرتفع، والزهور ترفع أعناقها لنظرة الماء الوافدة، وإذ الوافد مطر وندى وإشراقة شمس تأخرت وتاقت إليها القلوب... صباح الخير يا حلب.

صباح حلب

بمسالكينهم السوداء في الليل الأسود، يحاولون قطع جبل السرة لينقطع الصوت، فظهرت صورتهم البشعة ليضع دقاتك، ولما رأوا بشاعتهم في المرأة هربوا خوفاً من البشاعة، ونسيوا أنها صورتهم فجاء الطبيب بثوبه البيض وقلبه الأبيض، وصوته الأبيض، ومد يده يجس نبض القناة فوجدها بخير. اضطر لاستئذانكم هذا الصباح أن تغفوا الفيروز التي غاب صوتها قهراً وقسراً، لأنها ستعود بثوب أبيض تعني «عندي ثقة فيك وعندي أمل فيك»، صباح الخير له،توب نيوز،، حيث الناس تصنع أخبارها والناس تمول أخبارها، وحيث فيروز تقيم مع صباحاتكم بثقة وأمل... وكلمات الحب لكم والوفاء لأوطان، تعرف معنى وضع الدم في الميزان ثمناً للكرامة، سيبقى صوت فيروز وتبقى صباحاتنا معاً، وتبقى «توب نيوز» تنير صباحاتكم... أداودن.

صباح حلب

افتقد الصباح صوت فيروز الذي اعتاده مع طلوعه كل يوم، وهو يتجول في الحارات والقرى ويصعد جبلاً وينزل الأوداء، حتى صار الصوت ملازماً لحضور الصباح. وفي بيوت الناس الطيبين، قناة فقيرة بسيطة كيساطلهم، من دون إغراء البهرج والمفاتن، صوت فيروز وبضع كلمات كتبت من القلب وتصل إلى القلوب، فضافت بها صدور الحقد الأسود واستخبارات الحكومات اللثيمة، وجاءوا بسكالكينهم السوداء في الليل الأسود، يحاولون قطع جبل السرة لينقطع الصوت، فظهرت صورتهم البشعة ليضع دقاتك، ولما رأوا بشاعتهم في المرأة هربوا خوفاً من البشاعة، ونسيوا أنها صورتهم فجاء الطبيب بثوبه البيض وقلبه الأبيض، وصوته الأبيض، ومد يده يجس نبض القناة فوجدها بخير. اضطر لاستئذانكم هذا الصباح أن تغفوا الفيروز التي غاب صوتها قهراً وقسراً، لأنها ستعود بثوب أبيض تعني «عندي ثقة فيك وعندي أمل فيك»، صباح الخير له،توب نيوز،، حيث الناس تصنع أخبارها والناس تمول أخبارها، وحيث فيروز تقيم مع صباحاتكم بثقة وأمل... وكلمات الحب لكم والوفاء لأوطان، تعرف معنى وضع الدم في الميزان ثمناً للكرامة، سيبقى صوت فيروز وتبقى صباحاتنا معاً، وتبقى «توب نيوز» تنير صباحاتكم... أداودن.

صباح حلب

تبسم الصباح وهو يسمع صوت فيروز من الشرفات طلعت يا محلا نورها، تغنيّ لسيد درويش، وفنجان قهوة تفوح عطوره مشفوعة بالتسلل بين بعض من عبق الحيق والياسمين، وحبر صحف الصباح. فقال: «زجعت يا محلا نورها»، ومضى يتفقد زوّار شاشة الفقراء والبسطاء، الذين آدموا معها صباحاتهم وأدمت معهم الجراح، وتفاؤلوا بها أحزانهم، وصارت جزءاً من السلاح. وسال أمّا تعدّ الفطور لاولادها عن سرّ العلاقة بينها وبين قناة ليس فيها مسلسل واحد عن عنتر وعيلة، ولا فيديو كليب لأخرصرعات الموضة أو وصفات التتحيف السريع. فقالت: فيها روح شهبهني وكفى.

ولما وجد شابا على ابواب العشرين يعدّ قهوته بيده المصابة وهو «يرندح» مع صوت فيروز فرحاً بعودتها، عن سرّ الفرح فقال: يكفي يوم كتّأ محاصرين أنها كانت تصنع لنا الأمل وتتوقّع الحدث وتصيب، حتى صرنا نحن الجنود نناديها كما ننادي بعضنا يا حبيب.

والطالب الذي يستعدّ لجامعته، يرّد تحية الصباح للشاشة المزهوة بالوانها العائدة يقول: لن يسرقوا منّا الأمل بالحياة وهذه تشبه الأمل لأنها من لا شيء مثل كل إنجازاتنا، ليست إلا إرادة حياة ونبض عقول، ونحن بهما نصنع نصرنا وكلنا أمل. أما المقاوم الذي عاد من خط النار وحراسة الثغور، فقال: صور الشهداء وسيرتهم تكفيني لأحبها، وأن أرمس عبرها من شرفتي خريطة الأيام المقبلة فلا نبيعنا نصراً زائفاً ولا تحبط فينا همّة قتال سيحلب النصر حكماً.

والمحبط المريرك يقول: أسمع صوت فيروز فأتذكر الأيام الخوالي وأقول عساها تعود، ويأتي سنونو يبيع حقيقتي بعد الخماسين التي أتلفت الحرب والنسل، ويبقى الحاقنون والمتلونن عسسن الدول الكبرى والصغرى فيقولون: فشلنا بإسكاتها، وسنبقى نحاول وعلى ضآلة إمكاناتها وفقر مشغلئها ترهقنا بتأثيرها لأنها «سنديرلا الشاشات»، فقد جاءت من الفقر وحازت قلب الأمير والأمير هو الشعب.

وتحسدبنا ذات جيلها وجنسها من الأميرات المتبرّجات والمترفات وترينّ الأمير مجحفاً بحق جمالين، واختيار ابنة الفقراء، فيجيب قلب الشعب، وهو الأمير: إنه القلب، فرّدّد الصباح مع فيروز، «عندي أمل فيك وعندي ثقة فيك»، وقال شعب يمنح حبه لشاشة ليس فيها إلا غذاء العقل بالبحر وغذاء الروح مع فيروز تجمع الحب والخير والجمال مع الحق والبطولة والشهادة، وما شعب لا يهزم، والصباح اليوم ككل صباح لكم ومنكم شاشتنا، باقية ما بقي الليل والنهار، وما بقي فينا وفيكم الإصرار، أننا كما عشنا لن نموت إلا كما يموت الأحرار، مكرّوا فمكرنا ولا مكر الله والله خير الماكرين.... صباححكم حب وحياة ومقاومة ونصر، «توب نيوز» عادت بالخير والعافية... صباح الخير.



### ليس للقلب يوم عطلة

لاحظ الصباح أنّ أيام الجمعة والسبت والأحد بتفاوت الأمانك والأزمان يتغيّر فيها إيقاع الحركة عن سائر الأيام كل صباح. فكثيرون من الذين يصادفهم في الطرقات مع طلوعه غيبيون ويكتشف أنّهم نيام. ولما دقّ الصباح لفيهم سرّ الغياب، سمع بأمر اسمه «يوم العطلة الأسبوعية»، وأنّ من شأنه زيارة المعابد الدينية تفزّغاً للعبادة. لكن سؤاله كان عن رجل الدين الذي يدير المعبد، فعمل أنّ عطلة كل أيام الأسبوع ما عدا يوم العطلة. فهو يوم رزقه وباقى الأيام عطلة. واكتشف أنّ الناس عموماً في العطلة يتفقون غالبية ما يحصلونه من عائدات أعمالهم في أيام العمل، ولذلك ما يحصلنه العمال في ستة أيام يكفي بصعوبة لإنفاق يوم العطلة. فتساءل عمّا إذا كان عائد يوم واحد لرجل الدين يكفيه باقي أيام الأسبوع.

وعلق الصباح أنه مع دورة الزمان تغيرت الأحوال، وتراجع زوّار المعابد لتصوير العطلة نقاعة ومناسبة ترفيه، فصارت سوق عمل حول المعابد وفي أماكن الترفيه لأناس يعملون سائر الأيام، لكنهم يعملون أكثر في العطلة ومن دونهم تفقد معناها. تسأل الصباح ماذا يفعل الناس في العطلة لو توقّف باعة الفاكهة واللحوم والخضار عن العمل؟ وأقلت بصحاحم والمنتزهات والمسارح ودور السينما؟ وتوقف سائقو وسائل النقل؟

ولمّا دقّ أكثر سأل: ماذا لو شملت العطال المستشفيات والمطافى؟ فعمل أنّ عمّالها يتقاسمون المناوبات. فسأل: هل ثمة مهنة لا عطلة فيها؟ فوجد ثلاثا فقط: القلب والأّم والصباح. فلو طلب القلب عطلة لانتهت الحياة، ولو توقفت الأم عن رعاية أبنائها لتغيّر طعم الحياة وصارت أيام العطلة للكوارث وأيام حوادث وابتلاء، أما الصباح فيكفي أنّ يحظى بالعطلة يوما حتى تتجهّم الطبيعة وتخسر العطلة رونقها... نحيا الفرح لأنّ هناك من تعب لصنع فرحنا. وننعم بالنوم لأنّ هناك من يسهر كي ننام. ونحيا بعزّ لأنّ هناك من ماتوا لنحيا... صباح الوفاء للقلب والأّم، والصباح لمن بذلوا الشقاء والدماء كي ننعم بالفرح والحياة وفرح الحياة... صباحكم كلمة طيبة لا تعرف العطلة.

### صباح عمّال الحدائق في الشام

قرّر الصباح اختيار علاقته بالماء، ففتح أصابع كفيّه بحسب أين يلقاه وكيف. فقال: أولاً لدة هطول المطر، وثانيا عندما تنثر الرطوبة رذاذها مع المدّ والجزر على الشواطئ فجرا مع بدايات الطلوع، وأخذ يحصى، تناسل قطرات الندى على حدّ وردة تنتفخ، وشلال نهر يجري متدفقا لملافاة شعاع الضوء الأول. وبينما هو يتخطى تعداد أصابع اليد الأولى، رأى في بقعتين مختلفين مشهدين نادرين، فقد شاهد أمّا في قرية في جنوب لبنان تواظب مع كل طلوع صباح على إيقاظ أولادها، ومناذاتهم بالإسم وهي في الحقل المتحصّل ببناء المنزل، تنتظرهم وقد ملأت لكل منهم إبريقا من ماء البئر وضعته جانبيا. ولما يصل أحدهم إليها ينحني ويلقي تحية الصباح ويقتح كفيّه ليلتقط صابونة الغار، وتسكب له الماء على سطح الكفّ اليمنى فيعسل بها يسراه وعينيه، ثم يفرق يديه ووجهه، ويتناول منها الإبريق ليروي حوضاً من أحواض الحقل، ويروح يملأ الإبريق ويسقي حتى يلتحق به أخوه يسلم منه المناوية، وهكذا بعد نصف ساعة يكون الذكور والإناث قد أنهوا التهيؤ للفطور يعدّونه معا من بيض والبان وخضار، مصدرها بضغّ أغنام وقرنّ دجاج، قبل أن يتنكب كل منهم حزمة كتبه وينتقل إلى مدرسة القرية.

تتبع الصباح يوما بعد يوم عادات هذه الأسرة، حتى بلغ العمر بهم سرّ النضوج وصار كلّ منهم في أسرته الخاصة، فيحمل إبريقه ويمضي إلى عائلته، فقال: عندما تتوقف السقاية في حاكورة المنزل بحجة الضرورة، وسكب الأم الماء بين وأحتجّ أكفّ أولادها بداعي التمدن، يضع نبع حنان في العائلة وتفقد التعلق بالأرض ولا نجد سبيلاً لاستردادها. لذلك قال الصباح: هذا هو نبع المقاومة، حنان أمّ وعشق تراب.

أما المشهد الثاني فكان وهو يدخل إلى الشام مع الفجر، يشهد عمال الحدائق يمتشقون أجسادهم، وبايديهم أنابيب السقاية يمدّون من خيرها ماءً نقياً زلالاً على حدائق الأرصفة. ولما حلت الأزمة ووقعت الحرب، وتناثر كل شيء، وتشظى المجتمع، وامتلأت الأخبار بالأحاديث عن انهيار الدولة وانشقاقات في جيشها، نظر الصباح في ذروة الخطر والخوف فوجد عمّال الحدائق يعيدون الكثرة. فقال: دولة يواظب مائها على التدفق فوق زهوها في ذروة الحرب لا تنهار ولا تهزّها العاتيات وستنتصر... صباحاتكم مقاومة ونصر... وماء حديث عذبّ يجري في حدائق حياتكم.